# تحولات دلالة العاقل وغير العاقل في لغة القرآن الكريم

*Transformation of rational and non-rational in the language of Holy Quran*

صالح خطاب/ طالب دكتوراه
أ.د. رابح دوب

جامعة الأمير عبد القادر. قسنطينة
*Salahk9@gmail.com*

تاريخ الإيداع: 2021/04/01 تاريخ القبول: 2021/06/10 تاريخ النشر: 2021/11/04

**ملخص:**

يهدف هذا البحث إلى توضيح مفهوم العاقل (العالم) ومفهوم غير العاقل انطلاقا من "ما" و"من" الموصوليتين وصولا إلى كل من الدال على العاقل أو غير العاقل من الأسماء ؛ كما يرمي المقال إلى توضيح التحول الدلالي الذي يأخذ فيه غير العاقل دلالة العاقل حين يحمل على فعل العاقل أو على صفته أو حين يراد تعظيمه لذاته أو لغيره، وفي مقابل ذلك يأتي العاقل بدلالة غير العاقل عند تصغيره أو تحقيره، ولا بد من مراعاة التفسير الدقيق والسياق لإثبات التعظيم والتحقير.

**الكلمات المفتاحية:**

العاقل. غير العاقل. الدلالة. التحول. اللغة.

**Abstract:**

This article aims to clarify the concept of the rational and the concept of the non-rational, starting from Ma (what) and Man (who) (relative nouns) coming to each of the rational or the non-rational from the nouns. The article aims also to clarify the semantic transformation in which the non-rational nouns take the significance of the rational ones, when they impose on their action or on their character or when they denote self glorification or others.

On the other hand, the rational comes in the sense of the irrational when minimizing or demeaning. It is needed to take care about the precise interpretation and the context to prove glorification and contempt.

**Keywords**:

Rational- non-rational- significance- transformation – language.



المنارة للاستشارات
ww

**مقدمة:**

لقد حاول النحاة والمفسرون وأصحاب المعاجم ومن سعى سعيهم أن يحيطوا بما في العربية كلٌّ في مجال بحثه وميدان صناعته، فقعّدوا وفسّروا، وعمّموا وخصّصوا، واستثنوا وصنّفوا، فاتفقوا واختلفوا لكنهم حدّدوا السمت وبيّنوا المنهج. ولسنا هنا بصدد إحصاءٍ أو تعديدٍ، إنما لنستدرك بابًا قد لا يكون استوفى حقه من البحث والتمحيص والتدليل، فكان الاختلاف فيه بيّنا، والتقعيد له ضربا من التخمين يستقيم هنا ويرجُح، ويستحيل هناك ويقبح، ولعلّ من أبرز ما كان التخمين فيه طاغيا مسألة العاقل وغير العاقل في العربية عموما، وفي لغة القرآن الكريم خصوصا.

لعلّ بعض الموضوعات التي تطرق لها النحاة بمعزل عن أهل الدلالة كمسألة العاقل وغير العاقل في اللغة العربية، إنما طُرِقت من منظور المعلوم المتداول فأوجدوا لبعضها تخريجا، واكتفوا في معالجتها ببعض جزئياتها في مسائل محددة، واستعمالات محدودة وتركوا ما خرج عن ذلك من دلالات ولم يتطرقوا له بالتدقيق، فالْتبس الأمر على المتعلّم والدارس.

فإذا كان النحاة قد وضعوا القواعد وقعّدوا ممَّا ورد في كلام العرب فإنَّ بعض المسائل في القرآن الكريم خالفت بعض قواعدهم وتجاوزت محاورهم، (على الرغم من أنهم أوردوا شبيهاتها من كلام العرب)، ليس لأنَّ ما وضعه النّحاة كان ناقصا مضطربا، وإنما لأنَّ بعض الموضوعات لا يمكن أن تُطرح نحوًا محضا بمعزل عن الدلالةً؛ فالعاقل وغير العاقل والإشارة إليهما بالإشراك أو الإضمار تتطلب حكمًا لا يخضع لعلم النّحو بقدر ما تفصل فيه الدلالة، ولا يمكن للدلالة أن تفصل فيه بحكم قطعي لأنه متعلق بالقصد التواصلي؛ فجاء الدال على غير العاقل بدلالة العاقل ،كما جاء مدلول العاقل بدال غير العاقل.

وإذا كان العاقل ظاهرا وغيره ظاهرا أيضا فقد ورد في القرآن الكريم الكثير من نماذج غير العاقل بصفة العاقل وهو الذي عُنِينا بتبيانه في هذه الورقية البحثية.

لقد اكتفى النحاة بالتقعيد للاسمين الموصولين "ما" و "مَن"، ولم يهملوا الإشارة إلى دلالة كل منهما في الأصل، ومدلولهما المتداول ، وسار المفسرون إلى أبعد من ذلك فتأولوا للّفظين دلالة في كل موضع، ومدلولا يتطابق مع معنى النص المفسَّر في تركيبه وسياقه، من دون مراعاة أن الذي انطبق هنا قد لا ينطبق أو قد يناقض الواقع هناك، فاختلط الدالان المختلفان والْتَبَسَت على المتعلم الدلالة، فبديَا كأنهما مترادفان لمعنى واحد حينا، ويغيب ذلك أحيانا أخرى.

إن مسألة "العاقل" (العالم) و"غير العاقل" في العربية عموما وفي لغة القرآن الكريم خصوصا تفصل فيها الدلالة وتميز بين طرفيها، فهل للدال الواحد (مَن) أو (مَا) أكثر من مدلول، أم أن للمدلول دالين مختلفين صوتا ورسما ؟ وهل هناك شروط .في المراد تبليغه .تحدد الدلالة، وتتحقق بها استقامة التركيب وأصولية المعنى؟



المنارة للاستشارات

لقد أجاب النحاة عن هذا الإشكال، وأسهب المفسرون فيه، لكن الجانب الذي لم ينل حظه من الدرس والتمحيص هو غير العاقل حين يُحمل على أنه عاقل إنْ في اسمي الموصول (مَن) و(ما)، أو في أسماء الجمادات والحيوان.

لقد حدد علماء العربية أن "من" تكون للعاقل، فإن دلت على الله تعالى صارت للعالم، وجاز أن يكون العاقل عالما أما "ما" فلغير العاقل، غير أنها أحيانا تكون للعاقل ولغيره كما سيأتي.

كما تحدث النحاة عن جمع غير العاقل جمع تكسير غالبا، وأحيانا جمع مؤنث سالما لِما كان مفرده مؤنثا، فهذا "جبل" وجمعه "جبال"، فإن أُسند إليه فعل صار مفردا مؤنثا ارتفعت الجبال، وإن وُصِف جاءت صفته مفردة مؤنثة ولو كان جمع مذكر فيقال: جبال عالية، وإن أُضمر له ( عُوّض بضمير) كان بِهاء المفرد المؤنث كما في قوله تعالى: "والجبال أرساها"[النازعات32] ؛ وكذلك يشار إلى جمع غير العاقل باسم الإشارة المفرد المؤنث هذه أو تلك كقوله تعالى: "وتلك الأيام نداولها بين الناس"[آل عمران140]. فما مقتضى ذلك؟ ومتى يكون خلافا لمفرده ومثناه؟

ومن هنا فإن هذا المقال يتناول غير العاقل الذي ورد في القرآن الكريم بصفة العاقل أو بخصائصه ،إنْ في الاسمين الموصولين (من / ما) أو في غيرهما من الأسماء والصفات.

إننا هنا نحاول إيجاد تفسير جامع، بل قاعدة تتحدد بموجبها الاختلافات بعيدا عن التخمين واعتماد الإسقاط والتخريج الذي يصدق على هذا الجانب ولا يصدق في ذاك. ولأجل أن نتمكن من ذلك تبْيِيناً وتوضيحاً كان لِزاما أن نستعرض أهم ما قال النحاة واعتمده المفسرون في الفرق بين "مَن" و"ما"،وكيف فسروا تداخلهما، ثم نعرض إلى مسألة غير العاقل عموما بشواهد وبيّنات من الذكر الحكيم إن شاء الله.

**أولا: "مَن" التي للعاقل(العالم) و"ما" التي لغير العاقل:**

تناول النحاة "ما" الاسمية و"مَن" وبينوا إعرابهما ووظائفهما النحوية من حيث اسميتهما وما تستوجبه هذه الاسمية من وصل وتعريف، وامتناع تنكيرهما ولزومهما البناء ودلالتهما المطلقة على العدد، فهما للمفرد والمثنى والجمع، مؤنثا كان أم مذكرا، وهما تشتركان في كل ما يتعلق بالنحو والوظيفة النحوية، لكنهما تختلفان في الدلالة على مدلول كلّ منهما فتميزت "ما" بغير العاقل ودلّت "من" على العاقل .

**1: أهم ما قال النحاة في "مَا" و"مَنْ":** من أبرز ما ورد في كتب النحو المشورة لبعض أعلام النحاة:

**1-1: جاء في أوضح المسالك لابن هشام الأنصاري:**

( ... والمشترك ستة: "مَن" و "ما" وأي وأل وذو وذا، فأما "مَن" فإنها تكون للعالم ، نحو: " ومن عنده علم الكتاب" ولغيره في ثلاث مسائل: إحداها أن ينزل منزلته، نحو من لا يستجيب له، وقوله أسرب القطا هل من يعير جناحه. وقوله : ... وهل يعمن من كان في العصر الخالي. فدعاء



المنارة للاستشارات

الأصنام ونداء القطا والطلل سوّغ ذلك. (الثانية) أن يجتمع مع العاقل فيما وقعت عليه من نحو "كمن لا يخلق" لشموله الآدميين والملائكة أو الأصنام، ونحو: "ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض" ونحو: "من يمشي على رجلين فإنه يشمل الآدمي والطائر. (الثالثة) أن يقترن به في عموم فُصّل بمن، نحو "من يمشي على بطنه" و "من يمشي على أربع" لاقترانها بالعاقل في عموم كل دابة.

وأما "ما" فإنها لما لا يعقل وحده نحو: "ما عندكم ينفد". وله مع العاقل، نحو: " سبح لله ما في السماوات وما في الأرض." ولأنواع من يعقل نحو "فانكحوا ما طاب لكم من النساء". وللمبهم أمره كقولك وقد رأيت شبحا: "انظر ما ظهر"[1].

**2-1:جاء في حاشية الصبّان:**

**1-2-1: استعمال "من" في غير العاقل لعارض تشبيه أوتغليب العاقل أواختلاط:**

والمشترك من الموصول ستة: من وما وأل وذو وذا وأي على ما سيأتي شرحه، وقد أشار إليه بقوله (وَمَنْ وَمَا وَأَلْ تُساوى) أي في الموصولية (مَا ذُكِرَ) من الموصولات (وهكذا ذُو عند طيِّئ قد شُهِرْ) بهذا فأما "مَن" فالأصل استعمالها في العالم وتستعمل في غيره لعارض تشبيه به كقوله:[2]

أسرب القطا هل من يُعيرُ جناحَهُ لعلّي إلى من قد هويت أطيرُ

وقوله:

ألا عِمْ صباحا أيُّها الطَّلَلُ البالي وهل يَعِمَنْ من كان في العُصر الخالي

أو تغليبه عليه في اختلاط نحو (ألم تر أنّ الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض)[3] (الحج 18) أو اقترانه به في عموم فصل بـ (من) نحو (فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع) (النور45)، لاقترانه بالعاقل في كل دابة. وتكون بلفظ واحد للمذكر والمؤنث، مفردا كان أم مثنى أم مجموعا، والأكثر في ضميرها اعتبار اللفظ نحو (ومنهم من يؤمن به) (يونس 40)، (ومن يقنت منكنّ) (الأحزاب 31)، ويجوز اعتبار المعنى نحو (ومنهم من يستمعون إليك) (يونس 42)، ومن قوله:

تَعَشَّ فان عاهدتني لا تخُونُنِي نَكُن مثل من يا ذئب يصطحبانِ

**2-1-2: استعمال"ما" ودلالتها:**

تستعمل "ما" أصلا لغير العاقل ، لكنها تستعمل للعاقل إذا اختلط غير العاقل بالعاقل أو حمل على صفاته.

"وأما ما فإنها لغير العالم نحو (ما عندكم ينفَدُ) (النحل 97)، وتستعمل في غيره قليلا إذا اختلط به نحو (يُسبح لِلّه ما في السموات وما في الأرض) (الجمعة1) وتستعمل أيضا في صفات العالم[4] نحو (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) (النساء3)، وحكى أبو زيد : سبحان ما يسبح الرعد بحمده،



المنارة للاستشارات

وسبحان ما سخركنَّ لنا. وقيل بل هي فيها لذوات من يُعقَل. وتستعمل في المبهم أمره كقولك –وقد رأيت شبحا من بعد- انظر إلى ما رأى؛ وتكون بلفظ واحد كمن"[5].

وقد نلحظ أن الأمر أوضح من أن تستعمل "مَن" في غير العاقل (العالم) في عارض تشبيه أو في اختلاط العالم بغير العاقل ، وأيسر من ذلك كله وأوضح أنّ غير العاقل حين يُحمل على فعل العاقل يأخذ دلالته، فالإعارة من أفعال العاقل التي لا تصدر إلا منه والسجود فعل كُلف به العاقل، وسنعرض تفاصيل أخرى فيما احْتُجّ به في موضعه. فمن قام بفعل العاقل وجب أن يحمل دلالة فاعله العاقل، وأيسر لنا القول بحلول "من" محلّ "ما" في نحو ما سبق.

**3-1: جاء في شرح المفصل لابن يعيش:**

**1-3-1: اسمية "من" و"ما" ودلالتهما** : تحدث المفصل عن اسمية "ما" و"من" وعن دلالة كل منهما فقال:

"وأمّا" مَنْ فإنّها تكون بمعنَى" الذي"، وتحتاج من الصلة إلى مثلِ ما احتاجت إليه" الذي"، إلَّا أنّها لا تكون إلَّا لذَواتِ مَن يعقِل، وهي اسم بدليلِ أنّها تكون فاعلة، نحوَ قولك" :جاءني من قام"، فموضعُ" مَنْ "رفعٌ بأنه فاعل، ومفعولةً، نحوَ: "رأيت مَن عندك"، فيكون موضعُها نصبًا بأنه مفعول به، كما تكون الأسماءُ كذلك. ولا بد لها من ضمير يعود إليها، وذلك من خصائص الأسماء. ويدخل عليها حروفُ الجرّ، نحوَ قولك: مررت بِمَنْ عندك . قال الله تعالى: {فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاء} (آل عمران129)، وهي مبنية كما كانت" الَذِي " كذلك، لأنّ ما بعدها من الصلة من تمامها فهي بمنزلة بعض الاسم[6]، وبعض الاسم مبني لا يستحق الإعراب وذلك نحو قولك "جاءني مَن عندك"، أي :الذي عندك .قال الله تعالى: (وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ) (الأنبياء 19) إلَّا أنها تُفارِق" الذي " في أنها لا توصف كما توصف" الذي"، ولا يوصَف بها كما يوصف بـ الذي، ألا تراك تقول: "جاءني زيد الذي قام"، و"جاءني الذي قام الظريف"، فتصف" الذي"، وتصف بها، ولا تفعل ذلك في" مَن"؛ لخروجها عن شَبَهِ الأسماء المتمكِّنة، وشَبَهِها بالمضمرات بنَقْصِ لفظها. ألا ترى أنّها على حرفَيْن، والأسماءُ الظاهرة لا تكون على أقل من ثلاثةِ أحرف. فلمّا بعُدتْ من الظاهر، لم توصَف، ولم يوصَف بها. وليس كذلك" الذي "فإنها على ثلاثة أحرف، إذ أصلُها" لَذِ"، مثلُ" :عَم "و"شَج."

**2-3-1: دلالة"من" على غير العاقل في كناية الجمع لتغليبه عند الاختلاط:**

...فإن قيل :إذا زعمتَ أنها لا تقع إلاّ على ذواتِ مَن يعقِل، فما تصنع بقوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ}(النور45) والذي يمشي على بطنه، والذي يمشي على أربع ليسوا من العُقلاء؛ لأنّ الذي يمشي على بطنه من جنسِ الحَيَّات، والذي يمشي على أربع من جنسِ الأنعام والخيل فالجوابُ أنّه لما خلط ما يعقل وما لا يعقل، غَلبَ جانب من يعقل، وذلك أنه قال: "فَمِنهُمْ"، فجمع كناية من يعقل



المنارة للاستشارات

وما لا يعقل بلفظِ ما يعقل، فلمّا كان كنايةُ الجمع الذي فيه ما يعقل وما لا يعقل مثلَ كناية الجمع الذي ليس فيه ما لا يعقل، كان تفصيلُه كذلك، ولِـ" مَن"، مواضعُ غيرُ ذلك تُذكَر فيما بعدُ[7].

لقد فصّل ابن يعيش في شرحه لمفصل الزمخشري في اسمية "ما" و"من" وبيّن إعرابهما واستعمالهما، واحتاط لقوله: "لا تقع إلا على ذوات العقل" بالحديث عن اختلاط من لا يعقل بمن يعقل وذكر كناية الجمع الذي فيه من يعقل واستدل بـ"ومنهم" من قوله تعالى : "ومنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على أربع"النور45 ولم يكن ذلك أدلّ ولا أوضح ولا أيسر من القول بحلول "من" محل "ما" عندما يحمل غير العاقل على فعل العاقل.

وحكى أبو زيد من قول العرَب سبْحَانَ مَا سَخرَكُن لنا، فأجرى" مَا "على القديم سبحانه، وهذاَ ونحوُه محمول عَندنا على الصفة، وقد ذكرنا أنّها تقع على صفاتِ من يعقل، فقولُه: {مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} بمعنَى: الطَّيِّب منهن ،وقولُه: {وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنَاهَا}، بمعنَى: البانِي لها في أحدِ القولَين، والقولُ الآخر أن يكون بمعنى المصدر، أي :وبِنائِها ،وقولُهم: سبحانَ ما سخركن لنا بمعنَى المُسخر، ومهما جاء من ذلك، فمتأوَّلٌ على ما يَرجِعه إلى ما أصَّلنا، ولها مواضعُ تُذكر أقسامُها فيها فيما بعدُ، إن شاء الله[8] من يدقق النظر في قول المصنف أو الشارح في "ما" التي حلت محل العالم في قول العرب: "سبحان ما سخركن لنا"، يُلْفِ أنه تلافى الخوض في دلالتها من حيث أنها استعملت للعالم وهو ما يثبت لغير العاقل، وأجاب بأسلوب الحكيم تضعيفا للقول أو إنكارا له أو استنكارا، وإن لم ينف استقامته قطعا و يذكر ذلك صراحة، إلا أنه أشار إلى أنه وغيره -مما لم يُمثّل له - محمول على الصفة عندهم، وتحاشى الخوض فيه حتى قال: "ومهما جاء من ذلك، فمُتأوّل على ما يرجعه إلى ما أصلنا..."وهو ما يوحي بأنه اجتهد في إعادة الأمر إلى تأصيله وإن لم يقطع فيه بحكم لأنه يضعف ما يقال ولا يتبنّاه قطعا.

### 4-1: وجاء في شرح ابن عقيل:

ومن وما وألْ تساوي ما ذكر ... وهكذا ذو عند طيّء شُهر

وكالتي أيضا لديهم ذات ..... وموضـــع اللاتي أتى ذوات

### 1-4-1: "من" و"ما" ودلالتهما على الجنس والعدد:

أشار بقوله تساوي ما ذكر إلى أن "من" و"ما" والألف واللام تكون بلفظ واحد :للمذكر والمؤنث المفرد والمثنى والمجموع فتقول: جاءني من قام ومن قامت ومن قاما ومن قامتا ومن قاموا ومن قمن وأعجبني ما ركب وما ركبت وما ركبا وما ركبتا وما ركبوا وما ركبن وجاءني القائم والقائمة والقائمان والقائمتان والقائمون والقائمات.



المنارة للاستشارات

**2-4-1: أكثر استعمالات "ما" في غير العاقل:**

وأكثر ما تستعمل "ما" في غير العاقل وقد تستعمل في العاقل ومنه قوله: تعالى : {فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى }وقولهم: سبحان ما سخركن لنا وسبحان ما يسبح الرعد بحمده.

**3-4-1: أكثر استعمالات "من" في العاقل:**

و"من "بالعكس فأكثر ما تستعمل في العاقل وقد تستعمل في غيره، كقوله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ) ومنه قول الشاعر: بكيتُ على سرب القطا إذ مَرَرن بي ... فقلت ومثلي بالبكاء جديرُ

أسربَ القطا هل من يُعير جناحَه لعَلّي إلى مَن قد هويتُ أَطِير؟[9]

ولعلّ ابن عقيل في شرحه للألفية لم يفصّل تفصيل الصبان ولا الزمخشري، ولم يخض في ما خاض فيه ابن يعيش، إنما اكتفى بما عرف من أقوال أئمة النحو وبما ألمّ به من تفاصيلهم فأوجزها في: 'أن اكثر ما تستعمل "ما" في العاقل وأكثر ما تستعمل "من" في غيره دونما تفصيل كأنما ادخر التفصيل لما ختم به كلامه عن المقالة التي قال إنها من أفسد الأشياء وأوضحها في الاستحالة... ويعني بذلك قول الكافرين اتخذ الله ولدا"..سبحانه تنزه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا. وهو قوله:"ولما كانت هذه المقالة من أفسد الأشياء وأوضحها في الاستحالة، أتى باللفظ الذي يقتضي التنزيه والبراءة من الأشياء التي لا تجوز على الله تعالى، قبل أن يضرب عن مقالتهم ويستدل على بطلان دعواهم . وكان ذكر التنزيه أسبق، لأن فيه ردعاً لمدعي ذلك، وأنهم ادعوا أمراً تنزه الله عنه وتقدس، ثم أخذ في إبطال تلك المقالة فقال:{بل له ما في السموات والأرض} : أي جميع ذلك مملوك له، ومن جملتهم من ادعوا أنه ولد الله. والولادة تنافي الملكية، لأن الوالد لا يملك ولده. وقد ذكر بعض المفسرين هنا مسألة من اشترى والده أو ولده أو أحداً من ذوي رحمه، وموضوعها علم الفقه. ولما ذكر أن الكل مملوك لله تعالى، ذكر أنهم كلهم قانتون له، أي مطيعون خاضعون له .وهذه عادة المملوك، أن يكون طائعاً لمالكه، ممتثلاً لما يريده منه.واستدل بنتيجة الطواعية على ثبوت الملكية.

ومن كان بهذه الصفة لم يجانس الوالد، إذ الولد يكون من جنس الوالد.وأتى بلفظ ما في قوله : { بل له ما في السموات والأرض }، وإن كانت لما لا يعقل، لأن ما لا يعقل إذا اختلط بمن يعقل جاز أن يعبر عن الجميع بما.

ولذلك قال سيبويه : "وأما ما، فإنها مبهمة تقع على كل شيء،" ويدل على اندراج من يعقل تحت مدلول ما جمع الخبر بالواو والنون، التي هي حقيقة فيما يعقل، واندرج فيه ما لا يعقل على حكم تغليب من يعقل.



المنارة للاستشارات

فحين ذكر الملك، أتى بلفظة ما، وحين ذكر القنوت، أتى بجمع ما يعقل، فدل على أن ذلك شامل لمن يعقل وما لا يعقل.

قال الزمخشري : فإن قلت : كيف جاء بما الذي لغير أولي العلم مع قوله قانتون؟ قلت : هو كقوله : سبحان ما سخركن لنا، وكأنه جاء بما دون من، تحقيراً لهم وتصغيراً لشأنهم، كقوله : { وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً } انتهى كلامه، وهو جنوح منه إلى أن ما وقعت على من يعلم، ولذلك جعله كقوله : ما سخركنّ لنا. يريد أن المعنى : سبحان من سخركن لنا، لأنها يراد بها الله تعالى.وما عندنا لا يقع إلا لما لا يعقل، إلا إذا اختلط بمن يعقل، فيقع عليهما، كما ذكرناه، أو كان واقعاً على صفات من يعقل، فيعبر عنها بما. وأما أن يقع لمن يعقل، خاصة حالة إفراده أو غير إفراده، فلا.

وقد أجاز ذلك بعض النحويين، وهو مذهب لا يقوم عليه دليل، إذ جميع ما احتج به لهذا المذهب محتمل، وقد يؤول، فيؤول قوله : سبحان ما سخركن، على أن سبحان غير مضاف، وأنه علمٌ لمعنى التسبيح.

وما : ظرفية مصدرية أي مدة تسخيركن لنا. والفاعل يسخر مضمر يفسره المعنى وسياق الكلام، إذ معلوم أن مسخرهن هو الله تعالى. وقول الزمخشري: وكأنه جاء بما دون من، تحقيراً لهم وتصغيراً لشأنهم، ليست ما هنا مختصة بمن يعقل، فتقول عبر عنهم بما التي لما لا يعقل تحقيراً لهم، وإنما هي عامة لمن يعقل ولما لا يعقل.

### 1-5: جاء في شرح الجُمل لابن الفخار:

جاء في شرح الجمل أن "ما" و"من" تقع كل منهما في ثلاثة مواضع مختلفة:

### 1-5-1: مواضع وقوع "ما":(على ما لا يعقل) و(على جنس من يعقل) و(على صفة من يعقل):

(... فأما "ما" فإنها تقع على ما لا يعقل).كان ينبغي أن يقول: فأما "ما "،فلها ثلاثة مواضع:أحدها أنها تقع على ما يعقل مطلقا. والثاني أنها تقع على جنس من يعقل.والثالث أنها تقع على صفة من يعقل، هذا هو الذي جرى به الاستعمال. وقال ابن خروف: إنها تقع على كل شيء مطلقا، تعلقا منه بقول الإمام في باب "عدة ما يكون علي الكلام": "ما" مبهمة تقع على كل شيء. وبقولهم:" سبحان ما سخركن لنا" و"سبحان ما سبح الرعد بحمده" وبنحو قوله تعالى: "والسماء وما بناها" الشمس5 إلى غير ذلك مما ورد مثله في التنزيل، والأكثر على خلاف هذا المذهب، فأما قول سيبويه فخرج مخرج الغالب، لأنه لا يستثني منه إلا الوقوع على ذات من يعقل خاصة.

وأما قولهم سبحان ما سخركن لنا وسبحان ما سبح الرعد بحمده فقال الأستاذ: إن "ما" ههنا مصدرية ظرفية، والتقدير سبحان الله مدّة تسخيركن لنا وسبحان الله مدّة تسبيح الرعد بحمده، وسبحان اسم علم لا ينصرف كعثمان، وأما "ما" في قوله (والسماء بناها) الشمس5 وما بعدها فيحتمل أن تكون مصدرية فلا يكون له فيها دليل.فتحصّل في "ما" هذه ثلاثة مذاهب.



المنارة للاستشارات

**1-5-2: مواضع وقوع "من"(على ذات من يعقل) و(ذات ما لا يعقل) و(ذات ما لا يعقل في التغليب):**

ثم قال:"(ومن تقع على من يعقل،) كان ينبغي أيضا أن يقول أن يقول: و("من" لها ثلاثة مواضع):أحدهما أن تقع على ذات من يعقل والثاني: أن تقع على ذات ما لا يعقل ، إذا نُزل منزلة من يعقل، والثالث: أن تقع على ذات ما لا يعقل في باب التغليب.[10]

**1-6: جاء في المعجم المفصل للإعراب:**

جاء في المعجم المفصل أن "ما" تأتي على وجهين: أ: اسمية ب:حرفية، ويعنينا هنا الاسمية منها:

**1-6-1:"ما" "من" الاسميتان :**

أ: "ما" اسم استفهام يستفهم به عن الشيء وصفاته، وقد يستفهم به عن الأعيان في غير الناطقين،أو حتى في الناطقين على رأي بعض النحويين ، نح قوله تعالى:" إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم" المؤمنون[6]. فقد استعملت "ما" للعاقل بمعنى: الجواري اللواتي يملكهن.

ب: اسم شرط يجزم فعلين، يسمى الأول فعل الشرط والثاني جواب الشرط، نحو: "ما تدرس يفدك."وتكون مبنية.

ج: اسم موصول وتستعمل للعاقل ولغيره، وللمفرد والمثنى والجمع، وللمذكر والمؤنث، وتعرب حسب موقعها في الجملة. محو قوله تعالى:" ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا". النحل[73].

د: اسم تعجب: وهي نكرة تامة بمعنى شيء مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ، نحو "ما أكرم الأرض"[11]

**تأتي "مَن" بخمسة أوجه:**

أ: "من" شرطية: اسم شرط جازم ب: استفهامية: اسم استفهام يستعمل للعاقل مبني على السكون، ...

ج: موصولية : اسم موصول بمعنى (الذي) تستعمل للعاقل أو لما نُزّل منزلته، مبني على السكون في محل رفع أو صب أو جر...نحو: "ودّعت من سافر"(..) ونحو قوله تعالى: " ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها". الرعد[15]

د: نكرة موصوفة وهي قليلا ما تستعمل نحو قول الشاعر: رب من أنضجت غيظا قلبه ... قد تمنى لي موتا لم يطعْ..

هـ: زائدة : نحو: "كفى بك جاها عمن غيرك"[12]

**1-7:وجاء في الكافية الكبرى للإسعردي:**



المنارة للاستشارات

"و(ما) الاسمية موصولة واستفهامية وشرطية وموصوفة وتامة بمعنى شيء وصفةٌ و (من) كذلك إلا في التامة والصفة"[13]

لو أن الأمر اقتصر على "من" و"ما" لكفى النحاةُ الناس مسألة اللبس، لكن الأمر تعدّى إلى غير العاقل في غيرهما، وهو ما نسعى بحول الله إلى أن نبيّنه من لغة القرآن الكريم.

**ثانيا: "من" و"ما" في لغة القرآن الكريم:**

استعملت "مَن" للعاقل في مواضع كثيرة وشملت غير العاقل أحيانا.

1: **استعمال"من" في العاقل في لغة الكريم:** استعملت "من" في العاقل في لغة القرآن الكريم فجاءت لـ:

**1-1: - تخصيص العاقل دون غيره :**

**1-1-1-: الشاهد الأول:** استعمال "من" للعاقل لتخصيصه دون غيره: قال تعالى: "وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (الرعد13)

جاء في تفسير ابن كثير: "أي يرسلها نقمة ينتقم بها ممن يشاء، ولهذا تكثر في آخر الزمان.[14] "من" في الآية الكريمة تدل على الخلق الذين يرسل الله عليهم الصواعق فتصيبهم وهي نقمة من الله خصّوا بها يصيب بها من يشاء من العاقل العالم المجادل، المكلف، لا الجمادات والحيوان والنبات لأنها لا تعي النقمة.

**1-1-2 – الشاهد الثاني:** قال تعالى: وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (الرعد15)

جاء في تفسير ابن كثير: يخبر تعالى عن عظمته وسلطانه الذي قهر كل شيء، ودان له كل شيء، ولهذا يسجد له كل شيء طوعا من المؤمنين، وكرها من المشركين.[15]. وجاء في الكشاف للزمخشري: (ولله يسجد) أي ينقادون لإحداث ما أراده فيهم من أعاله شاؤوا أم أبوا، لا يقدرون أن يمتنعوا عليه،وتنقاد له ظلالهم أيضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال[16]"من" تدل على العاقلين العالمين فالمؤمن يسجد طوعا من ملائكة وجن وبشر، والكافر يسجد كرها... إلا أننا هنا يمكن أن نضيف إليهم كل ما خلق الله وهم بسجودهم يدخلون في حكم العاقل لقيامهم بفعله،أي أنهم حملوا على فعل العاقل وهو السجود، وكذلك الطاعة والعصيان.1

**1-1-3-: الشاهد الثالث:** قال تعالى: "أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ". (الزمر36)



المنارة للاستشارات

جاء في تفسير ابن كثير: "(أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) ... يعني أنه تعالى يكفي من عبده وتوكل عليه... (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) أي: منيع الجناب لا يُضام، من استند إلى جنابه ولجأ إلى بابه، فإنه العزيز الذي لا أعز منه، ولا أشد انتقاما منه، ممن كفر به وأشرك وعاند رسول الله ﷺ[17]

"ومن يضلل الله فما له من هاد" . ومَن هنا تختص بالدلالة على العاقل لأنه القابل للهداية والضلال وليست هذان من صفات الجمادات والأنعام..

**1-1-4-: الشاهد الرابع**: قال تعالى:"وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ". (ابراهيم4)

جاء في تفسير ابن كثير: "وقوله: (فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ) أي:بعد البيان وإقامة الحجة عليهم يضل تعالى من يشاء عن وجه الهدى، ويهدي من يشاء إلى الحق، (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن،( الْحَكِيمُ) في أفعاله، فيضل من يستحق الإضلال، ويهدي من أهل هو لذلك"[18]

وجاء في الكشاف للزمخشري: فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لأن الله لا يضلّ إلا من يعلم أنه لن يؤمن، ولا يهدي إلا من يعلم أنه يؤمن. والمراد بالإضلال التخلية ومنع الألطاف، وبالهداية التوفيق واللطف.[19]

المقصودون بالهداية أو بالضلال في الآية الكريمة أقوام عاقلون أرسل إليهم رسل منهم دعوهم إلى الحق، فأضل الله منهم من يشاء وهدى من يشاء بعد البيان وإقامة الحجة عليهم، ولا تقام الحجة إلا على عاقل عالم فالدال من مخصوصات العاقل والمدلول عاقل.

**1-2-: لتعظيم أفعال العاقل وغير العاقل أو صفاته أو أحواله:**

تأتي "من" للعاقل وغير العاقل تعظيما لصفته أو فعله بغرض تحقير من دونه، أو تعظيما لحاله بغرض الحض على تعظيمه. كما سنوضحه في الشواهد الآتية:

**1-2-1-:الشاهد**:قال تعالى: يُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَاتُ ٱلسَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُورا (الإسراء44)

جاء في تفسير ابن كثير: يقول تعالى: تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن، أي: من المخلوقات، وتنزهه وتعظمه وتجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته: ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد كما قال تعالى: "وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ." (مريم)[92] وقوله: (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) أي: وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله (وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ



المنارة للاستشارات

تَسْبِيحَهُم) أي: لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس؛ لأنها بخلاف لغتكم وهذا عام في الحيوانات والنبات والجماد، وهذا أشهر القولين[20].

وجاء في الكشاف للزمخشري: والمراد أنها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها تنطق بذلك، وكأنها تنزه الله عز وجل مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها..... (من فيهن) يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان، وقد عطفوا على السماوات والأرض فما وجهه؟ قلت: التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه.[21]

شمل التعظيم السموات والأرض ومن فيهن من ملائكة ومن إنس وجان فحُملن على فعل العاقل من تسبيح بحمد الله، وشمل كل شيء على وجه الإطلاق مما في السموات والأرض وهو ما جعل العاقل وغير العاقل يستويان بالتعظيم بالتسبيح الذي يعرف من العاقل ويُفقه من لغته، وبالتسبيح الذي أخبر الله تعالى به مما لا نفقهه. وهنا وجب إدراج المسبّح من غير العاقلين ضمن العاقلين لأنهم يؤدون وظيفة العاقل على حد سواء. وهؤلاء جميعا أعظم ممن يخاطبهم الله ممن ادعوا أن له ولدا. وسنعود إلى هذا ومثله في الحديث عن التعظيم والتحقير.

**2-:"ما" لغير العاقل:**

تستعمل "ما" لغير العاقل أصلا، كما يمكن أن تتحول دلالتها فتستعمل للعاقل تحقيرا لفعله أو لصفته أو مرتبته مقابل الأعظم.

**2-1: الشاهد الأول:** قال تعالى "وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (يوسف53)

جاء في تفسير ابن كثير: "(وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي) تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي فإن النفس تتحدث وتتمنى؛ ولهذا راودته لأنها أمارة بالسوء، (إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) أي: إلا من عصمه الله تعالى"[22]

وجاء في الكشاف: (إن النفس لأمارة بالسوء)أراد الجنس أي أن هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات.(إلا ما رحم ربي)إلا لبعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة . ويجوز أن يكون ما رحم ربي في معنى الزمان: أي إلا وقت رحمة ربي: يعني أنها أمارة بالسوء في كل وقت وأوان إلا وقت العصمة.[23]

من تفسير الآية ندرك أن "ما" التي لغير العاقل حلت محل "من" التي للعاقل تحقيرا للنفس الأمارة بالسوء، ومنها تحقير مَن نفسُه كذلك، لأنه لو كان عاقلا عالما ما أمرته نفسه بالسوء فأطاعها، وما اقترفت الذنب أو همّت باقترافه، ولأن الله رحيم بعباده أوجب لها الرحمة بمشيئته؛ ولذلك نرى التحقير وضع صاحبه موضع غير العاقل قبل أن تشمله الرحمة.فجاء الدال غير العاقل لمدلول عاقل بدلالة من لا يعقل تحقيرا.

**2-1: الشاهد الثاني:** قال تعالى:" سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (الحديد1)



المنارة للاستشارات

جاء في تفسير ابن كثير: "يخبر الله تعالى أنه يسبح له ما في السموات والأرض أي: من الحيوانات والنباتات،كما قال في الآية الأخرى "تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُورا" (الإسراء44) وقوله "وَهُوَ الْعَزِيزُ" أي: الذي قد خضع له كل شيء "الْحَكِيمُ" في خلقه وأمره وشرعه".[24]

إن الله تعالى في عظمته وجلاله يخبر بأنه العزيز الحكيم، يخضع له كل شيء في السموات والأرض ، فهو هنا محل التعظيم لذاته جلّ وعلا ، وهو مما لا بد من أن يكون ما سواه خاضعا خاشعا يسبح بحمده؛ الأمر الذي يجعل ما في السموات والأرض موضع الخضوع والاستصغار، ولذلك حلت "ما" محل "مَن" تحقيراً واستصغارا لما دون الواحد المتفرد في عظمته وسلطانه. وقد يرى البعض أن هذا لا يستقيم مع تعظيم " ومن فيهن" في الآية السابقة: يُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥكَانَ حَلِيماً غَفُورا (الإسراء44) سيما والأمران متشابهان. والصواب أن الفرق يتضح ويتحدد بفهم الآيتين فهما دقيقا؛ ففي هذه الآية يوجه الله تعالى الخطاب للمشركين الذين قالوا اتخذ الله ولدا...فيوبخهم، ويبطل دعواهم، ويحقر عقولهم، ويردعهم بالإشارة إلى أن الأعظم منهم والأرفع وهي السموات والأرض، وكل شيء مما خلق يُسبّح بحمده، وعجزتم أن تكونوا كأعظم أو أضعف ما خلق الله من الذين يسبحون بحمده فما عقولكم التي لم تدرك عظمة الله ووحدانيته إلا أحقر من أن تتقوّل على الله قولا، تعالى عنه علوا كبيرا، فما أعجزكم أن تكونوا كأعظم أو حتى كأصغر هذه الأشياء التي تسبح لله، أي أن في الآية تحقيرا للمتقولين على الله في مقابل تعظيم المسبّحين له. فالفرق بين "من" التي حلت محل "ما" في هذه الآية هو تعظيم مدلولها من السماوات والأرض وكل شيء في مقابل المشركين؛ وبين "ما" في قوله : سبح لله ما في السماوات والأرض." هو تحقير مدلولها أمام عظمة الله.

ومن هذا يتبين أن لتعظيم المدلول كما لتحقيره تأثيرا في "عاقلية الدال" من عدمها، وهو ما سنوضحه في مواضع قادمة.

**ثالثا: دلالة العاقل وغير العاقل في القرآن الكريم:**

1-: **ورود غير العاقل بدلالة العاقل:** ورد في القرآن الكريم "دال" على غير العاقل ب "مدلول" العاقل كذكر بعض الحيوانات والجماد ويكون ذلك في الحالات التالية:

1-1-:**حمل غير العاقل على فعل العاقل أو صفته:** إذا حمل غير العاقل على فعل العاقل أو صفته تحولت دلالته إلى العاقل واختصت به أحكامه.

1-1-1: **الشاهد الأول:** قال تعالى: "وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ".(النور45) .



المنارة للاستشارات
ww

جاء في تفسير ابن كثير: يذكر تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم، في خلقه أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها، من ماء واحد، (فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ) كالحية وما شاكلها، (وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ) كالإنسان والطير، (وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ) كالأنعام وسائر الحيوانات؛ ولهذا قال: (يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) أي: بقدرته؛ لأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ ولهذا قال: (إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)"[25]

وجاء في "الكشاف" للزمخشري: (... فإن قلت: لمَ سمي الزحف على البطن مشيا؟ قلت: على سبيل الاستعارة، كما قالوا في الأمر المستمر: قد مشى هذا الأمر، ويقال فلان لا يتمشى له أمر، ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين.)[26]

من معنى الآية ندرك أن الله تعالى خالق كل شيء حي من ماء، وأن الإنسان أعظم وأكرم وهو المتميز بالمشي على رجلين، فالمشي فعل الإنسان وما تبقى من الدواب والزواحف والبهائم محمول على فعل الإنسان العاقل، ولذلك قال تعالى :"فمنهم من يمشي على بطنه..." وليس المشي على البطن بمسوّغ إلا بحمل الزاحف على فعل العاقل، ومن يمشي على أربع أو يسْبح أو يطير مما خلق الله.

لقد وُضعت "من" هنا موضع "ما" لسببين: لتعظيم أمر المخلوقات وحركاتها وسكناتها بذكرها وحملها على فعل العاقل، فكان الدال عليها "مَن" المخصص للعاقل، لأنها تمشي كما الإنسان، ثم يلحق بها كل دابة يشاء الله خلقها وهو القدير، ولم يذكرها ولم يحدد فعلا لها أو صفة، ولم يحملها على صفة العاقل ولا على فعله فكان الدال عليها "ما" المبهمة التي لغير العاقل. أما السبب الثاني فهو حمل تلك الدواب التي ذكرت على فعل العاقل حيث كان تخصيصا لتعظيم أمر خلقها من ماء واحد على اختلافها وتنوعها في كل فعل، لتشمل كل ما خلق الله مما عرف الإنسان ثم أعقبها بخلق ما لم يعرف من قبل، فكان لكل مذكور دالُه المناسب له والمطابق لطبيعته، ومدلوله المطابق لمقتضى الحال، وما يفهم منه، فعظّم ما شاء في عين المخاطب ووضع ما شاء في ملكوت قدرته فتفرد بالعظمة المطلقة والقدرة المطلقة.

**2-1-: غير العاقل بدلالة العاقل عند التعظيم الحقيقي**: عند تعظيم غير العاقل فإنه يأتي بدلالة العاقل إظهارا لقداسته أو مكانته فهو معظم لذاته قصد الحض على تعظيمه أو افتراضه عظيما لإثبات العكس.

**1-2-1: الشاهد الأول**: قال تعالى: "الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ". (البقرة197)



المنارة للاستشارات

جاء في تفسير ابن كثير:"اختلف أهل العربية في قوله: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ) فقال بعضهم تقديره الحج حجُّ أشهر معلومات فعلى هذا التقدير يكون الإحرام بالحج فيها أكمل من الإحرام به فيما عداها، وإن كان ذلك صحيحا، والقول بصحة الإحرام بالحج في جميع السنة مذهبُ مالك، وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن رَاهوية ،وذهب الشافعي، رحمه الله، إلى أنه لا يصح الإحرام بالحج إلا في أشهره، فلو أحرم به قبلها لم ينعقد إحرامه به، وهل ينعقد عمرة؟ فيه قولان عنه، والقول بأنه لا يصحُّ الإحرام بالحج إلا في أشهره ... والدليل عليه قوله تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ) وظاهر التقدير الآخر الذي ذهب إليه النحاة، وهو أن: وقت الحج أشهر معلومات، فخصصه بها من بين سائر شهور السنة فدلَّ على أنه لا يصح قبلها كميقات الصلاة"[27]

في الآية الكريمة شاهدان: "معلومات" و "فيهن": معلومات صفة لأشهر التي هي جمع تكسير لاسم غير عاقل تقتضي العربية في غير هذا الحال أن يوصف بمفرد مؤنث، فيقال أشهر معلومة، ووصفها بجمع مؤنث سالم للقلة والحمل على العاقل؛ ومردّ ذلك تعظيم الحج الذي هو من شعائر الله، وقد قال الله تعالى: "ذلك ومن يعظّم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب."[الحج32].

إن التعظيم ثابت لشعيرة الحج ومنها لميقاته، فالأشهر المعلومات هي مواقيت الحج، فعَظُم الميقات بعظمة الشعيرة. أما "فيهن" فقد أضمرت الأشهر بـ"هن" التي للعاقل وليس بالضمير "ها" كما في العادة، ومردّ ذلك هو التعظيم .فأشهر الحج هن أشهر معلومات أُضمِر لهن بضمير العاقل العالم تعظيما. وسنزيد في تفصيل ذلك في الآية القادمة.

2-2-1: **الشاهد الثاني**: قال تعالى: "إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ". [التوبة36]

جاء في تفسير ابن كثير: "وقوله تعالى: (مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ) فهذا مما كانت العرب أيضا في الجاهلية تحرمه، وهو الذي كان عليه جمهورهم، إلاّ طائفة منهم يُقال لهم: (البَسْل)، كانوا يحرمون من السنة ثمانية أشهر، تعمقا وتشديدا. وأمّا قوله: (ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب ومضر الذي بين جمادى وشعبان...."وقال قتادة في قوله: (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ) إنّ الظُّلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا، من الظُّلم فيما سواها، وإن كان الظُّلم على كل حال عظيما، ولكنَّ الله يعظم من أمره ما يشاء. قال: إنّ الله اصطفى صفايا من خلقه، اصطفى من الملائكة رسلًا ومن النَّاس رسلًا واصطفى من الكلام ذكرَه، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان، والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر، فعظموا ما عظّم الله، فإنما تعظّم الأمور بما عظّمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل"[28]



المنارة للاستشارات

وجاء في الكشاف للزمخشري: (... وكانوت يعظمون الأشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه، وسموا رجبا الأصم ومُنصل الأسنة حتى أحدثت النسيء فغيروا)، (فلا تظلموا فيهن). في الحرم أنفسكم، أي لا تجعلوا حرامها حلالا.[29]

يُعلِم الحقُ تبارك وتعالى خلقه مبينا عدة الشهور جميعها أنها اثنا عشر شهرا، ثم يفصّل فيقول:" منها أربعة حُرم"، وهي أربعة خصّها بالقول: "فلا تظلموا فيهن أنفسكم". والدارس للآية الكريمة لا بد أن يلحظ أن الشهور أضمر لها بـ."ها" على ما جرت عليه العربية من حكم غير العاقل بينما أضمر للحُرم بـ الضمير "هن" المخصص للعاقل. فما الفرق؟. الفرق هو أن الشهور في البداية إنما ذكرت لتعيين عدّتها، وأن منها أربعة لها شأن خاص هي الأشهر الحُرُم، ولأن الحرمات تستوجب تعظيما فقد قال الحق جلّ وعلا: "ذلك ومن يعظّم حرمات الله فهو خير له عند ربه". الحج[30] حملت الحرم على حكم الاسم العاقل تفريقا بينها وبين غيرها من الشهور بالتعظيم.

مما سبق يمكن أن ندرك أن للتعظيم في لغة القرآن الكريم خاصية حمل "مدلول" غير العاقل على "دال" العاقل تفريقا بينه وبين غيره وتمييزا له عن غيره بما أوجب تعظيمه ليعلم مكانته وقداسته، فالأشهر الحرم من الشهور، لكنها تميزت دلالة فاختلفت عن غيرها وأضمر لها بضمير العاقل "هن" تعظيما لأمرها.

**1-2-3: غير العاقل بدلالة العاقل عند افتراض التعظيم**: حكم غير العاقل عند افتراض التعظيم أن يأتي بدلالة العاقل قصد إثبات العكس. .

**1-2-4: الشاهد**: قال تعالى: "قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ". (الأنبياء63)

جاء في تفسير ابن كثير: (قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا) يعني: الذي تركه لم يكسره (فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ) وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم، فيعترفوا أنهم لا ينطقون، فإن هذا لا يصدر عن هذا الصنم، لأنه جماد"[30]

جاء في الكشاف للزمخشري: (... ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم: ما تنكرون أن يفعله كبيرهم، فإن من حق من يُعبد ويُدعى إلها أن يقدر على هذا وأشدّ منه ).[31]

يعتقد المشركون من قوم إبراهيم عليه السلام أن لأصنامهم شأنا عظيما، فكانت مخاطبتهم على قدر اعتقادهم في عظمة آلهتهم، فأنزلها منزلة العاقل الذي يُسأل فيجيب استهزاء وسخرية من عقل ضلّ ضلالا بعيدا، وإمعانا في تحدّيهم وإقامةً للحجة وتسفيها لعقولهم التي لا بدّ أن تدرك أن الصنم لا يقدر على نطق.



المنارة للاستشارات
ww

لذلك جاء الدال "هم" في كبيرهم عوض "ها"، وهو ما يفهم منه أن التعظيم أو التحقير مرتبط بالجانب المقصود لا بالأصل؛ فالصنم حقير أصلا، والذي يعتقده إلها أحقر، لكن إقامة الحجة اقتضت الأخذ بفرضية المعتقِد ليثبت العكس.

5-2-1: **غير العاقل بدلالة العاقل للتعظيم مقابل غيره**: قد يأتي غير العاقل بدلالة العاقل تعظيما له في مقابل غيره.

6-2-1: **الشاهد**: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ". (الحج18)

جاء في تفسير ابن كثير:"يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها وسجود كل شيء مما يختص به، كما قال: (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ) (النحل48) وقال ها هنا: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ) أي: من الملائكة في أقطار السموات، والحيوانات في جميع الجهات، من الإنس والجن والدواب والطير، (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ). (الاسراء 44.

وقوله: "والشمسُ والقمرُ والنجوم" إنما ذكر هذه على التنصيص؛ لأنها قد عبدت من دون الله، فبين أنها تسجد لخالقها ، وأنها مربوبة مسخرة.[32]

وجاء في الكشاف للزمخشري: "... سميت مطاوعتها له فيها يحدث فيها من أفعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها بإدخال أفعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه.[33]

يخبر الله أنه المستحق للعبادة، وأن الذين يعبدونه ممن في السماوات والأرض إنما استحقوا أن لا يكونوا ممن حق عليهم العذاب جزاء بعبادتهم لله وطاعته. والعابدون الساجدون من البشر والملائكة والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب خليط من العالمين العاقلين وغير العاقلين إنما عظم أمرهم بسجودهم، فارتقى غير العاقل إلى مرتبة العاقل تعظيما، لأن السجود فعل العاقل ولما كان من غيره كان أمرا عظيما، وما عظم من هذه المذكورات إنما هي في مقابل المتحدث عنهم من الذين عموا أن يروا ذلك فتعظيم الساجدين يقابله تحقير غيرهم من الكافرين.أما في قوله تعالى:" وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ". (الحج18)فإن التصريح بالإهانة كان بدلالة "من" للعاقل الذي استحق ذلك، لأن التحقير مصرح به، ولا معنى للتحقير إن لم يكن للعاقل.



المنارة للاستشارات
ww

2- :**ورود العاقل بدلالة غير العاقل للتحقير**: مثلما يأتي غير العاقل بدلالة العاقل للتعظيم، يأتي العاقل بدلالة غير العاقل عند التحقير، ولا يراعى في ذلك حمله على صفة العاقل أو على فعله لأن التعظيم لغيره.

2-1: **الشاهد الأول**: قال تعالى: "يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ". (الجمعة1)

جاء في تفسير ابن كثير: يخبر تعالى أنه (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أي: من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها، كما قال: (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) (الاسراء44)" ثم قال :"الملك القدوس" أي هو مالك السماوات والأرض المتصرف فيها بحكمه، وهو "القدوس" أي المنزه .."[34]

لا بدّ لدارس الآية الكريمة العالم،أن يأخذ في الحسبان أن العاقل وغير العاقل من المسبحين استووا فكانوا بدلالة غير العاقل، لا لأن العاقل اختلط بغير العاقل ولكن لأن المسبّحين جميعا أدنى من الله المقصود بصفاته المؤكدة بفعل الذين يسبحون بحمده، فهم في ضعة وتحقير مقابل عظمة الله، والتعظيم هنا لله وحده، بأسمائه الملك القدوس العزيز الحكيم تفرد به لما أسلفنا من الصفات والأسماء فجاء المسبحون من عاقل وغير عاقل في مرتبة التحقير إذ هم أمام عظمة مطلقة لا ترقى إليها أخرى ولا تقترن بها فلم يرقَ غير العاقل إلى مرتبة العاقل وإنما استويا في الضعة أمام الملك القدوس العزيز الحكيم.

2-2: **الشاهد الأول**: قال تعالى:"يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". (التغابن1)

جاء في تفسير ابن كثير: "... تقدم الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها ومالكها؛ ولهذا قال:" له الملك وله الحمد" ي: هو المتصرف في جميع الكائنات، المحمود على جميع ما يخلقه ويقدره، وقوله وهو على كل شيء قدير أي: مهما أراد كان لا ممتنع ولا مدافع، وما لم يشأ لم يكن."[35]

اختلط ما في السماوات وما في الأرض من عاقل وغير العاقل وحملوا على فعل العاقل وهو التسبيح، وقد جاءت كلها بدلالة غير العاقل تصغيرا لشأنها لأنها مهما تكن تظل صغيرة في مقابل عظمة الأعظم الذي له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

2-3: **الشاهد**:قال تعالى: "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ". (الحشر1)

وقال ابن كثير:"يخبر تعالى أن جميع ما في السماوات وما في الأرض من شيء إلا يسبح له ويمجده ويقدسه، ويصلي له وحده"..[36]

وجود الدال "ما" ألغى الفرق بين العاقل وغير العاقل تحقيرا لمن دون العزيز الحكيم، فهو العزيز الحكيم القوي العظيم الغني بعزته المطلقة .



المنارة للاستشارات

3.ورود غير العاقل بدلالة العاقل عند حمله على فعل العاقل. مثلما يأتي غير العاقل بدلالة العاقل لحمله على صفة العاقل أو وصفه أو لتعظيمه، قد تأتي دوال الجمادات بدلالة العاقل في انزياح سوى بينها وبينه.

3-1.**الشاهدالأول**: قال تعالى:"إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا" (الأحزاب72)

جاء في تفسير ابن كثير: .."قال العوفي: عن ابن عباس :يعني بالأمانة: الطاعة، وعرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم، فلم يطقنها، فقال لآدم: إني قد عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم يطقنها، فهل أنت آخذ بما فيها؟ قال: يا رب، وما فيها قال: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت فأخذها آدم فتحملها"[37]

في هذه الآية نجد الإنسان الظلوم الجهول الذي حمل الأمانة في مقابل السماوات والأرض والجبال التي أبت حمل الأمانة وأشفقت منها، فكانوا جميعا على حد السواء من العرض؛ ولما كان المعروض أمانة بثقلها حملها بعضهم وأشفق منها آخرون، فحمل مدلول غير العالم العاقل(السماوات والأرض والجبال) على فعل العاقل العالم (الإنسان) وصفاته من الإباء والإشفاق والتحمل ، والظلم والجهالة. وهو ما يثبت ما ذهبنا إليه من أن غير العاقل إذا حُمل على فعل العاقل أو صفته ذكر بدال العاقل، وبما يقتضيه التركيب له من الإضمار والمطابقة العددية وصفًا وإسنادا.

3-2: **الشاهد الثاني**: قال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ". (الأنبياء33)

جاء في تفسير ابن كثير: "أي: هذا في ظلامه وسكونه، وهذا بضيائه وأنسه، يطول هذا تارةً ويقصر أخرى، وعكسه الآخر. (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) هذه لها نور يخصها، وفلك بذاته، وزمان على حدة، وحركة وسير خاص، وهذا بنورٍ خاص آخر، وفلكٌ آخر، وسير آخر، وتقدير آخر، (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) أي: يدورون"[38]

لا ريب في عظمة الخالق وهو يخبر عباده بأنه هو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بصفاتها التي يرونها من ظلام الليل وسكونه وضياء النهار وحركته وضياء الشمس والقمر ليشير إلى ما لا يرون ولا يدركون، وهو أنها تسبح كلها في فلك بما يقتضيه ذلك من نظام وتقدير، وفي ذلك تعظيم لهذا الخلق يجب الإقرار به، واستوجب ذلك التعظيم أن تحمل المعظّمات على مقتضيات التركيب الخاص بالعاقل العالم.

3-3:**الشاهد الثالث**: قال تعالى: "حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ". (النمل18)



المنارة للاستشارات
ww

جاء في تفسير ابن كثير: "أي: خافت على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها، فأمرتهم بالدخول إلى مساكنها ففهم ذلك سليمان، عليه السلام منها"[39]

في الآية الكريمة حمل النمل مفردا وجمعا على فعل العاقل العالم وصفاته ابتداء من القول وانتهاء بالأمر والتبرير له والتوقع، فالنملة التي خاطبت النمل نبهت و أمرت ثم برّرت سبب أمرها وخوفها من سليمان وجنوده، وتوقعت أن لا يشعروا بالنمل كأنما هي على علم من أن سليمان وجنوده لن يفعلوا عامدين... فالنمل خوطب جمعا بواديهم وذكرت الآية أن لهم مساكن وليس جحورا وحفرا. وفي تلك المقارنة بين فعل النملة وقولها وفهم سليمان عليه السلام لها وتبسمه إنما في ذلك تعظيم لشأنها ولسليمان الذي علّمه العظيم الأعظم ما لم يعلمه غيره.

إن تعظيم شأن النمل من تعظيم شأن سليمان عليه السلام،وفي تعظيمهما تعظيم لله جلت قدرته؛ وما حمل النمل على فعل العاقل إلا آية أخرى تثبت ما ذهبنا إليه من أمر العالم العاقل وغير العاقل في لغة القرآن الكريم المعجزة.

3_4: الشاهد الرابع: قال تعالى: "قال تعالى: وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ". (يوسف43)

جاء في تفسير ابن كثير: "هذه الرؤيا من ملك مصر مما قدّر الله تعالى أنها كانت سببا لخروج يوسف عليه السلام من السجن معززا مكرما،وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا،فهالته وتعجّب من أمرها،وما يكون تفسيرها؟[40]

وجاء في الكشاف للزمخشري: رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته ، رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف، فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبع أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالْتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها، فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها.[41]

رأى الملك عجبا فعظم ما رآه من البقرات السبع التي أضمر لها بالضمير "هن" المخصص للعاقل، ومن حكمة الله أن كانت هذه الرؤية بداية تحول في حكم مصر وفي عبادتها ليرتفع صوت الحق بإذن الله ويعلو يوسف عليه السلام وتتحقق رؤيته من سجود الكواكب الأحد عشر والشمس والقمر له، وفي ذلك تتجلى قدرة الله وعظمته أن جعل الرؤيتين عظيمتين .كانت الأولى على لسان نبي الله يوسف والثانية على لسان ملك مصر الذي عظم ما رآه...واقتضى القص أن تعظم الرؤى فحمل غير العاقل فيها على العاقل تعظيما للأمر وتمهيدا لنتائجه العظمى ليأتي العظيم استنادا لعظيم، وهذه هي لغة القرآن الكريم المعجزة.



المنارة للاستشارات
ww

**4-ورود العاقل وغير العاقل بدلالة غير العاقل عند التحقير**: عند التحقير يأتي العاقل أو غير العاقل أو كلاهما بدلالة غير العاقل، ومردّ ذلك قصد التحقير لا قصد التغليب والاختلاط.

**4-:الشاهد** :قال تعالى: " أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ". (النحل48)

جاء في تفسير ابن كثير: يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وكبريائه الذي خضع له كل شيء، ودانت له الأشياء والمخلوقات بأسرها: جمادها وحيواناتها ومكلفوها من الإنس والجن والملائكة، فأخبر أن كل ما له ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال، أي بكرة وعشيا، فإنه ساجد بظله لله تعالى. قال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عز وجل وكذا قتادة والضحاك، وغيرهم. وقوله: (وَهُمْ دَاخِرُونَ) أي: صاغرون. وقال مجاهد أيضا: سجود كل شيء فيه. وذكر الجبال قال: سجودها فيها. وقال أبو غالب الشيباني: أمواج البحر صلاته. وأنزلهم منزلة من يعقل إذ أسند السجود إليهم".[42]

وجاء في الكشاف للزمخشري: "... فهلا جيء بـ "من" دون "ما" تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم؟ قلت: لأنه لو جيء بـ"من" لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة، فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم إرادة العموم.(يخافون) يجوز أن يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون: أي لا يستكبرون خائفين.[43]

على الرغم من أن الآية في الكافرين الذين عموا أن يروا ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله، وأن تلك الأشياء حملت على فعل العاقل وهو السجود، إلا أن "الدال" عليها في التركيب كان لغير العاقل، ومردّ ذلك الاستصغار أو ما سميناه "التحقير"، ولعل قوله تعالى :" وهم داخرون" أدلّ على ذلك من كون أصلها الظاهر هو غير العاقل، دل عليها المخصص للعاقل بحملها على فعله فانتفى العاقل بالتصريح بالتذليل والتحقير.

والخلاصة فإن مسألة العاقل وغير العاقل في لغة القرآن الكريم يمكن أن يبوب لها كالآتي:

**باب "ما" و"مَن" الموصولتين ودلالتهما الأصلية:**

أ: فتأتي"من" للعاقل و"ما" لغير العاقل، فإن تحولتا عن دلالتهما الأصلية:

أ-1: تأتي "ما" بدلالة العاقل إذا حملت على فعل العاقل أو صفته.

أ-2: تأتي "ما" بدلالة العاقل إذا قصد بها التعظيم سواء لذاتها أو لغيرها.

أ-4: عند اختلاط العاقل بغير العاقل يغلب العاقل عند التعظيم وغير العاقل عند التحقير.

**باب غير العاقل من الأسماء :**

أ: يضمر لها بالمفرد المؤنث مفردة أو جمعا (وإذا العشار عطلت)( والجبال أرساها). وتوصف بالمفرد المؤنث.



المنارة للاستشارات

ب: يضمر لها بما يضمر للعاقل في الجمع في حالة التعظيم،...(فمن فرض فيهن الحج).

**مصادر البحث ومراجعه:**

.القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- الأشموني،حاشية الصبّان(شرح الأشموني) على ألفية ابن مالك، تحقيق محمود بن الجميل، مكتبة الصفاء، القاهرة، ط1، 2002، بيروت،ط3، .1987.

2- بهاء الدين بن عقيل، شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار العلوم الحديثة، بيروت، 1964، ط14.

3- خليل بن الملا حسين الإسعردي، الكافية الكبرى في علم النحو، تحقيق إلياس قبلان التركي، دار صادر، بيروت، ط1، 2007،

4- جار الله محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر للطباعة والنشر، دط، 2006.

5- طاهر يوسف الخطيب، المعجم المفصل في الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت، ط6، 2013.

6- عماد الدين اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد بن سامح، دار ابن الجوزي، القاهرة، دط، 2009.

7. محمد بن علي بن أحمد بن الفخار، شرح الجمل (شرح كتاب الجمل للزجاجي)، تح روعة محمد ناجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،2013.

8. موفق الدين بن يعيش النحوي، شرح المفصّل، تحقيق أحمد السيد، دار العلوم،القاهرة، دط، دت.

9-ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك،دار إحياء العلوم بيروت،ط3، 1987.

**الهوامش:**

[1] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، دار إحياء العلوم بيروت،ط3، 1987، ص 53..54

[2] حاشية الصبّان(شرح الأشموني) على ألفية ابن مالك، تحقيق محمود بن الجميل، مكتبة الصفاء، القاهرة، ط1، 2002، ص244.

[3] نفسه، ص245.

[4] نفسه، ص 246،247.

[5] نفسه،ص248.

[6] شرح المفصّل، موفق الدين بن يعيش النحوي، تحقيق أحمد السيد، دار العلوم، القاهرة، دط، دت، المجلد2، ص 108.



المنارة للاستشارات

[7] نفسه، مج2، ص109.
[8] نفسه، م2، ص110.
[9] شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك،باء الدين عبد الله بن عقيل، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار العلوم الحديثة، بيروت، 1964، ط14، ج1، ص147-148.
[10] شرح الجمل (شرح كتاب الجمل للزجاجي)،أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد المعروف بابن الفخار، تحقيق روعة محمد ناجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2013، ج1، ص 124،125.
[11] المعجم المفصل في الإعراب، طاهر يوسف الخطيب، دار الكتب العلمية .بيروت، ط6، 2013، ص 402، 403.
[12] نفسه: ص 431.432.434.
[13] الكافية الكبرى في علم النحو، خليل بن الملا حسين الإسعردي، تحقيق إلياس قبلان التركي، دار صادر .بيروت، ط1، 2007، ص 183،184.
[14] تفسير القرآن العظيم، عماد الدين اسماعيل بن كثير، تحقيق أبوصهيب محمد بن سامح، دار ابن الجوزي، القاهرة، دط، 2009،المجلد2، ج 4، ص280.
[15] نفسه،مج2، ج4، ص282.
[16] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،جار الله محمود الزمخشري،دار الفكر للطباعة والنشر، دط، 2006، ج2، ص354.
[17] تفسير القرآن العظيم ،ابن كثير،مج4، ج7، ص 61،62.
[18] نفسه: مج2،ج4، ص301.
[19] الزمخشري، المصدرالسابق، ج2، ص 367.
[20] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مج3، ج5، ص51.
[21] الكشاف، جار الله الزمخشري، ج2، ص451.
[22] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،مج2، ج4،ص250.
[23] الكشاف، الزمخشري ح2 ، ص 327.
[24] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مج4 ج8، ص3.
[25] نفسه، مج3، ج5، ص364.
[26] الكشاف، الزمخشري، ج3، ص71.
[27] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مج1، ح1، ص 350،351.
[28] نفسه، مج2، ج3، ص94.95.
[29] الكشاف، الزمخشري،ج2،ص 188.
[30] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مج3، ج5،ص 222.
[31] الكشاف، الزمخشري، ج2، ص577.
[32] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مج3،ج6،ص 257.
[33] الكشاف، للزمخشري،ج3، ص8.
[34] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،مج4،ج8،ص74.


المنارة للاستشارات
ww

[35] نفسه،مج4،ج8،ص 87.
[36] نفسه،مج4،ج8،ص 36.
[37] نفسه، مج3،ج5،ص 257.
[38] نفسه،مج3،ج5، ص 217.
[39] نفسه،مج3، ج6، ص63.
[40] نفسه، مج2، ج4، ص 248.
[41] الكشاف، الزمخشري، ج2، ص 322.
[42] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مج2، ج4، ص 399.
[43] الكشاف، الزمخشري، ج2، ص412.



المنارة للاستشارات
ww